شهادة لله ورسوله من قلب ينبض بحبك والترحم عليك أيها العزيز

بقلم محمود جلال الدين بن سيدي محمد المختار التجاني

عرفته حلو الشمائل كريم الأخلاق والفضائل العارف الرباني رافع راية العلى والمكارم ذو الهمة العالية السامية من هرع إلى حمى الله ونصرة دينه في ظل الطريقة التجانية بتفرد وإرادة ومحض فضل من الله واجتباء فأضاء بدره في غياهب عصره وأوانه فنال وارتقى في أوج مراتب المعالي فكتم طول حياته مقاما وولاية وجعلها قبرا في صدر حر خيّرٍ كبيرٍ.

"السر عندي في بيت له غلق...

ضاعت مفاتيحه والباب مقفول وليس يكتم السر إلا ذو كرم..."

والسر عند لئام الناس مبذول " فتجلى منه ظاهرا وواقعا ومنطقا شرعيا معمول به ومتفق عليه ونهج منهجا محمديا أبرك بتبتل وفراسة وجدارة واقتدار كله تواضع وفيض نورٍ من الدرر والعلوم، لم يتوانى في تخليد مآثره العلمية الجليلة النفيسة ولم يبخل بها إذ وثقها في كتب ومجلدات واكبت العصر في موقع للإنترنت وباللغتين العربية والفرنسية كانت هذه البصمة شاهدة عليه خالدة تالدة أبدية سرمدية كصدقة جارية نفع وانتفع بها الخاص والعام والحمد لله. فصار موسوعة للعلوم الغامض منها والمفهوم دق أو جل عظم أو قل من بحر زاخر اسمه عبد العزيز بنعبد الله فجمع الرجل الطرجمان بين علم الله الظاهر والباطن فأفحم عقول الأكابر والأساطين بفهمه ونباغته.

فتأثرت به أيم تأثر جالسته مراراً في داره العامرة وقد جلبني أسلوبه العالي الفخيم المستنبط من الكتاب والسنة بذوق خاص لا يمل حديثه فسميته تاريخ التاريخ لكل المجالات وصرفت همتي وأوليت حروفه كل اهتمامي ووجدت فيه نسخة الشيخ محمد الحافظ المصري التجاني شيخ المحدثين وعالم العلماء المتعلمين رحمه الله الذي أميزه باعتباري كأفضل المؤلفين.

وانتعشت روحي بوجوده ومعاصرته وشفى غليلي عند الغوص فيما يجود به وقد كنت أحوج ساعتها إلى مؤلف عالمٍ من طينته ووزنه. وقد آنسنا ساعتها كتباً منسوخة تكملةً لجواهر المعاني، فوجدت ضالتي والحمدلله إلا أن الأعمار بيد الله ولا راد لقضاء الله تعالى فرفع الله تعالى روحه الطاهرة وفقدت فيه عالما عاملا ورعا شيخا واصلا مربياً قلّ نظيره في هذا العصر والأوان. وبما أن اليقين قائم على أن طريقتنا ولادة ولم تعقر بعد دعوت وأدعو الله أن يجعل في خلفه خير خلف لخير سلف إن شاء الله - أوليس الصبح بقريب- سيكون واحداً وأواحد من أمثال البروفيسور المرحوم عبد العزيز بنعبد الله قدس الله سره.

لا نقول ما نقول ونكتب ما نكتب تزكية لهذا البدر الهمام رحمه الله فهو أشهر من نار على علم وهو ممن قال تعالى في حقهم "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا" صدق الله العظيم.

فلقد أدى ما عليه وزيادة ووجب علينا ذكره من باب الترحم والخير والشكر لأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله -الحديث- ومن باب الإعلام أيضا أن هذا الطود الشامخ كان تيجانيا عن اعتقاد وعقيدة علمية

نابعة بيقين ودخل هذه الطريقة لأنه درسها وآمن بها ونهل منها ما نهل وارتوى من بحرها الغطمطم كتابا وسنةً رغم تقلده لمناصب عليا في البلاد وارتباطه الدائم بمؤسسات بلاده.

ومما أشهد الله عليه أن ما لمسته فيه وشدني إليه هو نفوره من كثرة التعلق بالكرامات والميول إلى ما أفسد المجتمع من الحكم والجداول والطلاسم والخزعبلات فهو عالم طاهر نقيٌّ مقتنع متشبع بالعلم الظاهر قبل الباطن رغم تمرسه وتمكنه ووصوله لكبريات المراتب الباطنة وقد وُهبت له دون رغبته أو إلحاح أو طلب منه والحمدلله مصداقا لقول شيخنا التجاني رضي الله عنه : "الإستقامة خير من ألف كرامة" وكان شيخه وأستاذه وقدوته وبابه للشيخ التجاني ومربيه الروحي سيدي العربي بن السائح قدس الله روحه الذي كان كثير الكلام عليه والإستشهاد بتعاليمه والإقتداء به وعندما تسمعه يتكلم عليه تشعر وكأنه لا يفارقه طرفة عين.

فهذا إقرار منا عبد ربه محمود جلال الدين بن سيدي محمد المختار التجاني نخلد في الزمان هذه الحروف ونُشَكِلُّهَا لتعبر عن ما يخالجنا من مشاعر صادقة اتجاه هذا الفقيد الأبرك وهي قليلة في حقه إلا أننا نحمد الله أولا وآخرا على أن أكرمنا وشرفنا بمعرفته والتملي بمحيّاه والانتفاع بما انتفع ونفع به ونسأل الله تعالى أن يغدق عليه شآبيب عفوه ورضاه ويخلّد في الجنة مستقره ومثواه وأن لا يحرمنا وإياكم من عظيم أجره وثوابه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.